كتمان العلم الشرعي

عامر عباس محيميد

جامعة الجنان / كلية الآداب / قسم التفسير وعلوم القرآن

الملخص:

جاءت الشرائع السماوية لهداية البشرية وإخراج الناس من الظلمات الى النور وقد أمرنا الاسلام بتعليم الجاهل وهداية الضال ودعوة الناس الى الله حتى تقوم الحجة على الناس ولا يبقى لأحد عذر عند الله يوم القيامة ، لذلك فقد شدد الله النكير على من كتم شيئاً مما يحتاج الناس اليه وخاصة من أمور الدين وأوعد بالعذاب الأليم لكل من كتم آيات الله أو أخفى أحكام الشريعة لأن الكتمان جُرمٌ عظيمٌ يستحق مرتكبُه اللعنة والابعاد من رحمة الله (عز وجل) ، وفي هذا دلالة واضحة الى عناية الاسلام العظيمة بنشر العلم والثقافة لتبليغ دعوة الله الى الناس وانتشال الأمة من براثن الجهل والضلالة ، فنشر العلم عبادة وكتمه جناية وقد قال عليه الصلاة والسلام : (بلِّغوا عنِّي ولو آية) وقال صلاة الله وسلامه عليه: (من سُأل عن علم فكتمه أُلجمَ يوم القيامة بلجام من نار).

الكلمات المفتاحية: (كتمان العلم الشرعي، الشرائع السماوية).

Concealment of legal knowledge

Amer Abbas Muhaimid

Jinan University / College of Arts / Department of Interpretation and Quranic Sciences

Abstracts:

The heavenly laws came to guide humanity and bring people out of darkness into the light, and Islam commanded us to teach the ignorant, guide the lost, and call people to God so that the argument is established against people and no one will have an excuse with God on the Day of Resurrection. He is one of the matters of religion, and I promise a painful chastisement for anyone who conceals the signs of God or conceals the provisions of the Sharia, because concealment is a grave crime, the perpetrator of which deserves a curse and banishment from the mercy of God (the

Exalted and Majestic). The clutches of ignorance and misguidance, so spreading knowledge is worship and concealing it is a crime, and he, may God's prayers and peace be upon him, said: (Convey from me even if it is a verse) and God's prayers and peace be upon him said: (Whoever asks about knowledge and conceals it, he will be brimmed on the Day of Resurrection with a bridle of fire)

Keywords: (concealment of legal knowledge, heavenly laws).

الفصل الأول

التمهيد اللفظي واللغوي والحكم الشرعي

المقدمة :

تناولت موضوع كتمان العلم الشرعي من حيث اللغة والاصطلاح ، والتحليل اللفظي للآيتين (١٥٩,١٦٠)من سورة البقرة، والحكم الشرعي فيه، لما في هذا الموضوع من أهمية كبيرة .

المبحث الاول: تعريف كتمان العلم الشرعي لغةً واصطلاحاً :

المطلب الاول: تعريف الكتمان لغةً واصطلاحاً :

الكتمان لغةً:

نقيض الاعلان، كتم الشيء يكتمه كتماً وكتماناً وأكتمنه وكتمه[١] ، والكتمان : الاخفاء والستر ، قال الراغب : الكتمان ستر الحديث ، يقال : كتمته كتماً وكتماناً [٢]،

الكتمان اصطلاحاً :

(الكتم: ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة اليه، وتحقق الداعي الى إظهاره، وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفاءه، وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر موضعه، واليهود – قاتلهم الله – ارتكبوا كلا الامرين)[٣].

المطلب الثاني : تعريف العلم الشرعي :

العلم: نقيض الجهل ، عَلِمَ علماً وعَلُمَ هو نفسه ، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعاً(٤)،

الشرعي: الشريعة والشرعة: ما سنَّ الله من الدين وامر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر كقوله تعالى : { **لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً.....** (٥)} (٦).

المبحث الثاني :

التحليل اللفظي للآيتين { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مآ أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)} من سورة البقرة :

المطلب الاول: تحليل الفاظ الآية (١٥٩) من سورة البقرة :

البينات: الآيات الواضحات على الحق، جمع بينة وهي في اللغة: الدلالة الواضحة، عقلية كانت أو حسية، وسمي البيان بياناً لكشفه عن المعنى المقصود(٧).

والهدى: قال أبو السعود: (المراد بالهدى الآيات الهادية الى وجوب الايمان بالرسول (ﷺ) ووجوب أتباعه، عُبَّر عنها بالمصدر مبالغةً) (٨).

يلعنهم الله: أي يطردهم ويبعدهم من رحمته وأصل اللعن: الابعاد والطرد.

اللاعنون: قال أبن عباس: (اللاعنون كل شيء على وجه الارض ألا الثقلين)(٩).

المطلب الثاني: تحليل ألفاظ الآية (١٦٠) من سورة البقرة :

تابوا: اي رجعوا عن الكتمان ، وأصل التوبة الرجوع والندم على ما صدر عن الانسان .

وأصلحوا: أي أصلحوا ما أفسدوا بأن أزالوا الكلام المحرَّف ، أو أصلحوا سيرتهم وأعمالهم .

بينوا: أي أظهروا للناس ما كانوا قد كتموه من أوصاف النبي محمد (ﷺ)أو ما كتموه من دين الله .

التواب الرحيم: أي المبالِغ في قبول التوبة ، الرحيم بالعباد ، وهما صيغتا مبالغة [١٠].

المبحث الثالث:

الحكم الشرعي في الآيتين (١٥٩ ،١٦٠) من سورة البقرة :

المطلب الاول: حرمة أخذ الأجر عن تعليم القرآن وعلوم الدين:

أستدل العلماء من قوله تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مآ أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ**[١١]} على إنه لا يجوز أخذ الأجر عن تعليم القرآن، أو تعليم العلوم الدينية، لأن الآية أمرت بإظهار العلم ونشره وعدم كتمانه، ولا يستحق الانسان أجراً عن عمل يلزمه أداؤه ، كما لا يستحق الأجر عن الصلاة ، لأنها قربة وعبادة ، لذلك يحرَّم أخذ الأجر عن تعلمها[١٢] .

المطلب الثاني: جواز أخذ الاجر عن تعليم القرآن وعلوم الدين:

أنَّ المتأخرين من العلماء لما رأوا تهاون الناس، وعدم اكتراثهم لأمر التعليم الديني ، وانصرافهم الى الاشتغال بمتاع الحياة الدنيا ، ورأوا أن ذلك يصرف الناس عن العناية بتعليم كتاب الله ، وسائر العلوم الدينية ، فينعدم حفظهم للقرآن ، وتضيع العلوم ، لذلك أباحوا أخذ الأجور بل زعم بعضهم إنه واجب للحفاظ على علوم الدين[١٣] .

المطلب الثالث: الراجح من الاقوال:

قال الصابوني: (هذه النظرة الفقهية الدقيقة تسمو بالعلم الى درجة العبادة ، وهي نظرة جديرة بالتقدير، ولكن علوم الشريعة تكاد تضيع مع الأخذ بفتوى المتأخرين ، من إباحة أخذ الأُجرة عن التعليم ، فكيف لو أخذنا بفتوى المتقدمين ومنعنا أخذ الرواتب والأجور؟ أذن لم يبقَ من يعلِّم أو يتعلِّم أنَّا لله وأنَّا أليه راجعون)[١٤].

الفصل الثاني:

سبب النزول ومناسبة الآية واللطائف والمعنى الاجمالي

المقدمة:

تناولت سبب نزول الآية ومناسبة الآية، واللطائف التفسيرية والمعنى الاجمالي ، لما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة .

المبحث الاول:

سبب النزول والمناسبة ويقسم على مطلبين :

المطلب الأول: سبب النزول:

نزلت هذه الآية الكريمة في أهل الكتاب حين مثَّلوا عمَّا جاء في كتبهم من أمر النبي (ﷺ) فكتموه ، ولم يخبروا عنه حسداً وبغضاً ...، روى السيوطي في (الدر المنثور) عن أبن عباس (رضي الله عنهما) أن معاذ بن جبل وبعض الصحابة سألوا نفراً من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه ، وأبوا أن يخبرونهم ، فأنزل الله فيهم {أن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ....}[١٥] .

المطلب الثاني: مناسبة الآية:

كان أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يكتمون بعض ما في كتبهم بعدم ذكر نصوصه للناس عند الحاجة أليه ، أو السؤال عنه ، ويتعمدون إخفاء ما ورد من البشارات ببعثة خاتم النبيين محمد (ﷺ) حتى لا يؤمن به الناس ، كما يخفون بعض الأحكام الشرعية كحكم رجم الزاني، ويكتمون بعضها بتحريف الكلم عن مواضعه، والتأويل للآيات على غير معانيها إتباعاً للأهواء ، ففضحهم الله تعالى بهذه الآيات ، التي سجلت عليهم وعلى أمثالهم اللعنة العامة الدائمة [١٦]

المبحث الثاني:

اللطائف التفسيرية والمعنى الاجمالي :

المطلب الاول :اللطائف التفسيرية :

اللطيفة الأولى :

قوله تعالى { في الكتاب } المراد بالكتاب: الكتب التي أنزلها الله لهداية البشرية ، ف(أل) تكون (للجنس) مثلها في قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}(١٧)، وقيل : المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل ، فتكون (أل) للعهد الذهني .

اللطيفة الثانية:

عبَّر بأسم الإشارة البعيد {أولئك يلعنهم الله } تنبيهاً على قبح عملهم وغاية بعده في الاجرام والإفساد ، وأبرز الخبر في صورة جميلتين توكيداً وتعظيماً لخطورته ،وأتى بالفعل المضارع المفيد للتجدد لتجدد مقتضيه ، وأبرز أسم الجلالة (يلعنهم الله) على سبيل الالتفات لتربية المهابة ، وإدخال الروعة ، أذ لو جرى على نسق الكلام المتقدم لقال {أولئك نلعنهم}(١٨).

اللطيفة الثالثة:

في قوله تعالى: {ويلعنهم اللاعنون} ضرب من البديع يسمى {الجناس المغاير} وهو ان يكون إحدى الكلمتين اسماً . والاخرى فعلاً كما في هذه الآية .

اللطيفة الرابعة:

قوله تعالى: {وانا التواب الرحيم} جاء اللفظان بصيغه المبالغة، لأن {فعّال} و{فعيل} من صيغه المبالغة كما قال ابن مالك : فعّال أو مفعال أو فعول في كثرةٍ عن فاعل بديل والمعنى: كثير التوبة ، واسع المغفرة والرحمة(١٩).

المطلب الثاني :المعنى الاجمالي:

يقول الله تعالى ما معناه: إنَّ الذين يخفون ما أنزلناه من الآيات البينات، والدلائل الواضحات التي تدل على صدق محمد (ﷺ) وعلى إنَّه رسول الله، ويتعمدون أن يكتموا أمر البِشارة به عليه السلام، مع إنَّهم يعلمون حق العلم وأوصافه، لأنَّهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل....}[٢٠]، هؤلاء الكاتمون لأوصاف الرسول(ﷺ)، المتلاعبون بأحكام الدين، المحرّفون للتوراة والإنجيل ، يستحقون الطرد والإبعاد من رحمة الله، ويستوجبون اللعنة من الملائكة والناس أجمعين ، إلا من تاب عن كتمانه ، وأصلح أمره بالإيمان بمحمد رسول الله(ﷺ) ، وبيَّن ما أوحاه الله تعالى الى أنبيائه، فلم يكتمه ولم يخفه ، فهؤلاء يتوب الله عليهم ، ويفيض عليهم مغفرته ورحمته ، وهو جل ثناؤه كثير التوبة على العباد ، يتغمدهم برحمته ، ويشملهم بعفوه، ويصفح عما فرط منهم من السيئات[٢١]،

قال الرسول محمد (ﷺ): (من سأل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار)[٢٢]، روي عن أبي هريرة: (لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بحديث، ثم تلا قوله تعالى: {أنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى.....}[٢٣] .

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصلت أليها:

١- اليهود والنصارى كتموا صفات النبي (ﷺ) لصد الناس عن الإيمان به .
٢- كتم العلم خيانة للأمانة التي جعلها الله في أعناق العلماء .
٣- يجب نشر العلم وتبليغه الى الناس لتعم الهداية جميع البشر .
٤- من كتم شيئاً من أحكام الشرع الحنيف أستحق اللعنة المُؤبدة .
٥- لا تكفي التوبة بل لا بد من إصلاح السيرة ، وإخلاص العمل .

الهوامش:

(١) لسان العرب ، أبن منظور ،ج١٢/ ص٥٠٦.
(٢) المفردات ،الراغب الأصفهاني ، ص٤٢٨.
(٣) روح المعاني ، الألوسي ،ج٢/ ص٢٧.
(٤) لسان العرب ، أبن منظور ، ج١٢/ ص٤١٧.
(٥) سورة المائدة ، الآية ٤٨.
(٦) لسان العرب ، أبن منظور ، ج٨/ ص ١٧٦.
(٧) المفردات ، الراغب الاصفهاني ، ص٦٩
(٨) تفسير أبي السعود ، ج١/ص١٤١.
(٩) معاني القران ، الفراء ، ج١/ص٩٤.
(١٠) ينظر: روائع البيان ، الصابوني ، ج١/ ص١٤٧.
(١١) سورة البقرة ،الآية ١٥٩.
(١٢) ينظر: روائع البيان ، الصابوني ، ج١ / ص١٥٠.
(١٣) ينظر : روائع البيان ، الصابوني ، ج١/ ص١٥١.
(١٤) ينظر : روائع البيان ، الصابوني ،ج١/ ص١٥٢.
(١٥) الدر المنثور ،السيوطي ، ج١/ ص١٦١.
(١٦) ينظر : روائع البيان ، الصابوني ، ج١/ ص١٤٧.
(١٧) سورة العصر ، الآية (١-٢) .
(١٨) ينظر : البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج١/ ص٤٥٩.
(١٩) ينظر: روائع البيان ، الصابوني ، ج١/ص١٤٩ .
(٢٠) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧.
(٢١) ينظر : روائع البيان ، الصابوني ، ج١/ ص١٤٨.
(٢٢) رواه : أبن ماجة والحاكم ، ينظر: الدر المنثور ، السيوطي ج١/ ص١٦٢.
(٢٣) البحر المحيط ، أبي حيان الاندلسي ، ج١ / ص٤٥٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، سنة الولادة ٦٥٤هـ/ سنة الوفاة ٧٤٥هـ ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د. أحمد النجولي الجمل ، الناشر: دار الكتب العلمية ، سنة النشر: ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، لبنان/ بيروت .

٣- الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر – مصر، [١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م] .

٤- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)،المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٧- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت .